مكتبة الخلاني العامة في 1955 .. معارضها زاخرة بالمخطوطات والاعداد الأولى من الصحف القديمة

مجيد اللامي

تعدّ مكتبة الخلاني العامة في بغداد من بين المكتبات المشهورة بعراقتها وما تحتفظ به من المخطوطات ونفائس الكتب فقد أقامت معرضاً لها هو الأول من نوعه في العراق عام ١٩٥٥، عرضت فيه النتاج الفكري لأبناء العراق خلال قرن من الزمن تجلت فيه روعة التنظيم ودقة الترتيب ظهر فيه جلياً واضحاً المجهود الذي بذل في جمع ذلك التراث الفكري.

وقد أقيم المعرض في مكتبة الخلاني داخل (جامع الخلاني) بمحلة باب الشيخ من محلات بغداد العريقة في القدم وافتتح في الثالث عشر من شهر نيسان من العام المذكور أعلاه وحضر الافتتاح جمهور كبير من رجال الفكر والأدب في العراق ونفر من رجال العلم الأجانب وأعضاء السلك الدبلوماسي.

وعند الافتتاح القى السيد محمد علي درويش أمين المكتبة كلمة قيمة بيّن فيها الدور المهم الذي تلعبه المكتبات في حياة الأمم والأفراد ومدى عناية الأمم والشعوب بالمكتبات العامة.

وبيّن بعد ذلك أهمية الكتاب كعنصر فعال ذي اثر بارز في تنمية النشاط الانساني ومخاطبة عقول الناس وتطور العلوم والفنون.

وقد نظم المعرض على اساس عرض الكتب حسب التسلسل الزمني لتأريخ صدورها وذلك من المدة السابقة لسنة ١٩٠١ حتى الوقت الحاضر على معارض حديدية مزججة وعرضت في المعرض مؤلفات نادرة وقيمة بعضها خطي وبعضها مطبوع منها كتاب (مقامات ابن الألوسي) لأبي الثناء الألوسي المطبوع في كربلاء سنة ١٢٧٣ هجرية في مطبعة (الطف الحجرية) ويعتبر من أول الكتب العربية المطبوعة في العراق وكتاب سبائك الذهب في معرفة قبائل العرب لمحمد أمين السويدي المطبوع في مطبعة التبريزي سنة ١٢٨٠ هجرية وكتاب نشوة الشمول لأبي الثناء الألوسي وقد طبع في مطبعة الولاية التي أسسها مدحت باشا وكتاب (دوحة الوزراء في وقائع الزوراء) باللغة التركية ألفه محمد رسول، للوالي داود باشا، وهو من كتب التأريخ وقد أحرقت جميع نسخ هذا الكتاب في زمن علي رضا بك إلا بعض النسخ القليلة التي سلمت لتضمنه مدحاً لسلفه داود باشا وهو من المماليك ويعتبر هذا الكتاب أول مطبوع عراقي إذ تم طبعه بعناية محمد باقر التفليس سنة ١٢٤٦ هجرية (١٨٣٠ميلادية) في دار طباعة دار السلام ببغداد وكتاب (تنزيه الالباب في حدائق الآداب) للقس يوسف داود سريان المطبوع في الموصل سنة ١٨٦٣ ميلادية بمطبعة الآباء الدومينكيين المؤسسة سنة ١٨٦٢ وكتاب (فاكهة الخلفاء) لابن عرب شاه المطبوع في الموصل، وكتاب (الهيئة والاسلام) لسماحة العلامة هبة الدين الشهرستاني المطبوع في مطبعة الآداب سنة ١٣٢٨ هجرية.

ولم يفت ادارة المعرض ان تعرض الصحف والمجلات منذ أوائل صدورها حتى الوقت الحاضر وما يلفت النظر ان الصحف المعروضة كانت الاعداد الأوائل منها وقد بلغ عددها (٨٠٠) مجلة وجريدة ومن المجلات النادرة التي عرضت مجلة (أكاليل الورود) التي أصدرها دير الآباء الدومنكيين سنة ١٩٠٢ وهي مجلة دينية مسيحية ومجلة العلم في النجف لسماحة هبة الدين الشهرستاني ومجلة الرصافة لصاحبها محمد صادق الأعرجي ومجلة العلوم التي أصدرها رزوق عيسى سنة ١٩١٠ ومجلس الثقافة التي أصدرها السيد عبدالجليل برتو في البصرة سنة ١٩٢٧ وكانت من المجلات الرائجة والرفيعة حينذاك.

وقد عرض في المعرض اقدم جريدة رسمية في العراق هي جريدة الزوراء التي أصدرها الوالي مدحت باشا سنة ١٨٦٩ وكانت تطبع في مطبعة الولاية ببغداد بالعربية والتركية.. وعرضت أيضاً مجموعة من الصحف الصادرة قبل سنة ١٩٢٠ منها (صدى بابل) لصاحبها المعلم داود صليوه والمدير يوسف غنيمة و(النوادر) لصاحبها محمود الوهيب والعدد الأول من جريدة دار السلام الصادرة في سنة ١٩١٨ ومجموعة أخرى من الجرائد الهزلية والانتقادية كجريدة كناس الشوارع والكرخ وصدى الكرخ.

ولما كان تطور الفكر مقترناً بتطور الطباعة فقد عرضت في المعرض أدوات الكتابة منذ أقدم الأزمنة حتى الوقت الحاضر فشوهدت أقلام القصب الأحمر والمحابر النحاسية والحجرية ونماذج من الكتابة على جلد الغنم ورق الغزال وأدوات تسطير الورق والتجليد وألواح ورسوم للكاتب العراقي ونماذج من الكتابة الآشورية والنساخ العرب وخرائط قديمة وحديثة ونموذج من الكتب الخطية على الورق وصورة ورقة نادرة من كتاب مقامات الحريري رسمت عليها مكتبة عراقية بحلوان قرب بغداد وقد كبرت بالألوان عن الصورة الأصلية المرسومة في القرن السابع الهجري.. لقد عرض في هذا المعرض عدا الصحف والمجلات ثلاثة آلاف وثلثمائة وخمسة وعشرون كتاباً.

مفتي الموصل يخاطب موسوليني : أسود طرابلس علموكم هول الكفاح .. والعربي معروف بالصبر

أصبحتْ ذكرى عمر المختار وما حوته من مآثر في السياسة والبطولة ناموساً يتلقى منه الناشئة الاسلامية الدروس اللازمة لها في البسالة والصبر والثبات والنزاهة والاخلاص وسائر الاخلاق العظام ورمزا يتسلح به الساسة العرب في مناهضتهم الاستعمار والمطالبة باستعادة حقوقهم المهضومة حتى قال شكيب ارسلان:(فأن تأريخ هذا البطل عبارة عن احتجاج مجسم من الامة الطرابلسية على ايطاليا المعتدية الغاصبة..) وخير ما نستدل به مقتطفات من الخطاب المفتوح الذي بعث به مفتي الموصل الشيخ حبيب العبيدي الى موسوليني من بغداد بتأريخ ٢٧ محرم١٣٥٦هـ الموافق ٨ نيسان ١٩٣٧ أي بعد اعدام عمر المختار بنحو ست سنوات وقد أذيع الخطاب في كل أنحاء سوريا وجاء فيه:

موسوليني

الى صاحب السعادة السنيور موسوليني زعيم الفاشيست ورئيس الوزراء الأفخم: يا صاحب السعادة نشرت لك الصحف خطباً عديدة ولك ملء الحرية فيما تقول ولكن ينتهي حقك حيث يبدأ حق غيرك لقد أكثرت من البحث عن العرب والمسلمين ولست عربياً ولا مسلماً وكم كان لبحثك هذا أثره العميق في النفوس ولو نمت اساليبه ونمت مضامينه على تلافي ما فات وضمد جروح داميات بغية التقارب بعد التباعد والصداقة بعد العداء ولكن كانت النتيجة معكوسة لهاتيك المقدمات.

ومن الخطأ في الرأي اذا ما وقع عصفور في شبكة صياد ان يرى نفسه قد اصطاد كامل الطيور حتى العقبان والنسور.. وقد جربت أسود طرابلس وبرقة ؛فعلموكم هول الكفاح وجده زهاء عشرين عاماً اذا كنت ترغب في اكتساب صداقة العرب والمسلمين فالتمسها من غير تلك الطريق ثم ماذا عسى ان تكون قيمة الاقوال اذا لم تصدقها الأعمال.

ان اقليم طرابلس الغرب مسلم عربي وقد مضى زهاء ربع قرن على تحكم روما بمقدرات العرب والمسلمين في هذا القطر المنكود الطالع فماذا أفاضت عليه روما من أنوار التمدين الحديث غير الحديد والنار؟ وماذا خلعت عليه من مطارف العلم والعرفان والحضارة والعمران غير الاستبداد والاستعباد.. فهل هذه هي صداقة روما للعروبة والاسلام؟

وفي حملتك الشعواء على من يسيئون الظن في ذاكرة الايطالي ويتهمونه بالنسيان تحاول ان تثبت خطأهم بأخذك ثأر عدوه بعد أربعين عاماً فأسمح لي يا صاحب السعادة ان اذكرك بأن لا تسيء الظن في ذاكرة العربي فانه انسان مثلك فاذا ما كان الايطالي لم ينس عدوه بعد أربعين سنة فليس في استطاعة العربي ان ينسى عمر المختار في بضع سنين.. والعربي من عرفه التأريخ بفرط الصبر لأخذ الثأر وحسن الوفاء وحفظ الذمام وحسبه (اسطورة الهامة) وفي تقاليده القومية فسل ان شئت عن قول الشاعر العربي (حتى تقول الهامة اسقوني) والعربي الذي تحاول العبث به اليوم هو حفيد ذلك العربي الذي عرفته أنت كما عرفه التأريخ وعرفته بلادك يوم كان بطل الفتح ورسول الحضارة واستاذ الأمم وكان أرحم الفاتحين.

وقل خدمنا الانسانية من دون خيانة وأدينا رسالة العلم والحضارة بأمانة يوم قبضنا على ناصية الزمان وبعض بلادك وبلاد الاسبان بعض الشهود..

طاعون سنة 1772

د. قاسم جبر

وفدَ الطاعون على مدن العراق من تركيا، وبالتحديد من اسطانبول، سنة ١١٨٦هـ/ ١٧٧٢م. وكانت تركيا انذاك هي (الدولة العثمانية). ففتك الطاعون باهل العراق فتكا ذريعا، ولم تنج مدينة او قرية من اثاره.

وتدل التقديرات المحلية المرتفعة لعدد الموتى، برغم مبالغتها، على فداحة الخطب. فقد قدر عدد الموتى في الموصل وحدها بنحو الف انسان كل يوم، ومثل ذلك في كركوك، وفُني اكثر اهل اربيل، وامتد الى تكريت و(عنه) وحديثة وغيرها، وكان هوله في بغداد عظيما، حيث قدر عدد الموتى في اليوم الواحد باكثر من الف نسمة.

وتذكر المصادر ان الطاعون دهم بغداد في اوائل السنة، وقال اخرون انه ابتدأ في اوائل شعبان ودام حتى اواخر المحرم سنة ١١٨٧هـ/ ١٧٧٣م.

وخرج اكثر الناس من بغداد الى الصحارى والبوادي. وكان الوالي يومئذ عمر باشا يغضب على من يريد الخروج من بغداد، وكانت الناس لا تطيعه في ذلك، وكانوا يهربون من الوحشة التي وقعت في البلد مع علمهم ان الاجل بيد الله، والخروج لا يدفع ما قدره الله.

وكان الناس يتنقلون من مكان الى اخر ومن مدينة الى اخرى هربا من الطاعون. وفي البصرة، فان الروايات تبالغ بعدد الموتى بسبب الطاعون، حيث تذكر انه احصي من مات فيها فبلغوا ثلاثمئة وخمسين الفا (مع ان عدد سكان البصرة لم يكن يزيد على خمسين الفا) وانه لم يبق منها الا القليل. اما في مدينة الزبير، فقدر عدد من مات من اهل الزبير بسبب الطاعون نحو ستة الاف نسمة. وكذلك اهلك الطاعون اكثر اهل القرنة.

ومما هو جدير بالملاحظة، ان ولاة بغداد كانوا يضربون خيامهم في الجانب الغربي من بغداد للنزهة او للصيد او عند شعورهم بالخطر علي انفسهم كما يحدث عند الاوئبة والثورات.

ما سر العلاقة بين المس بيل والشقي ابن عبدكه؟

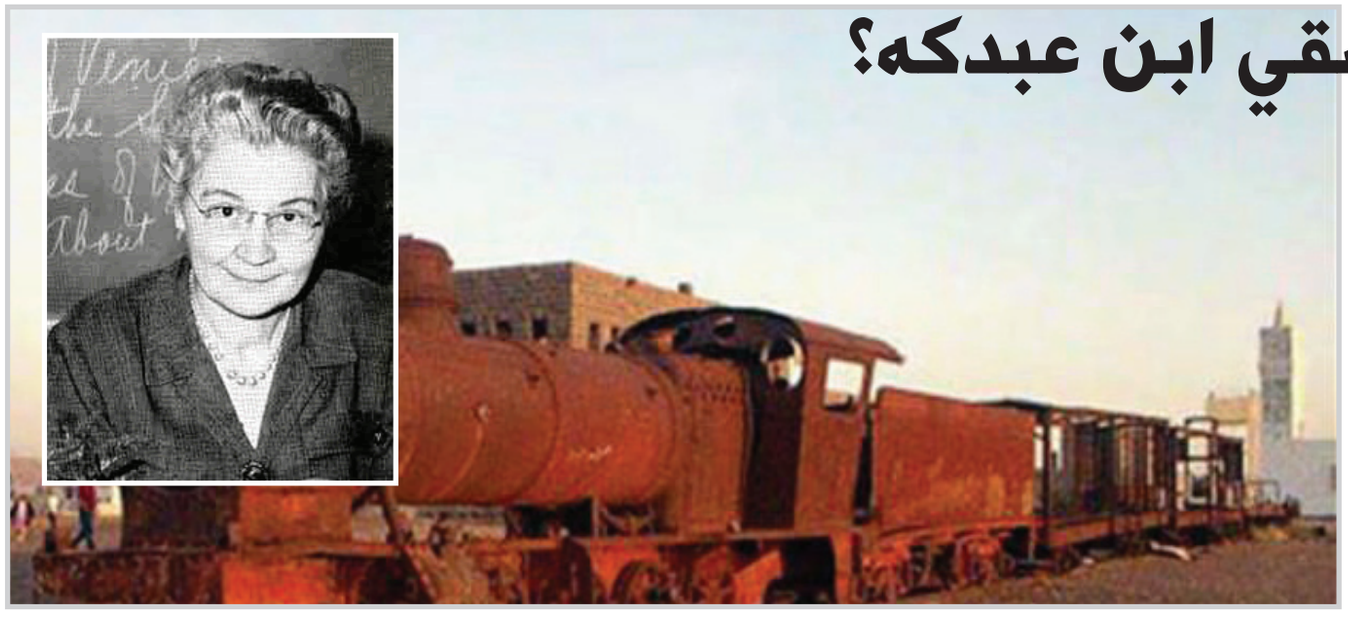

عبدالجبار السامرائي

كانَ اسم (ابراهيم بن عبدكه) يلمع في دنيا (الشقاوة) ايام زمان. هذا الرجل كان يبث الرعب في قلوب اشجع الرجال، وهو الشقي الذي كتبت عنه الصحافة الغربية كثيرا.

بعد الاحتلال الانكليزي لبغداد عام ١٩١٧ كانت قوة بريطانية عسكرية يقلها قطار كركوك قاصدة بغداد، وعند وصول القطار مدينة (شهربان) هاجمها رجال مسلحون، وكانت في القطار (مس بيل) السكرتيرة الشرقية للمندوب السامي البريطاني. تمكن المسلحون من التغلب على القوة البريطانية وقتلهم، واسروا (مس بيل).

وبعد دقائق، حضر (ابن عبدكه)، قرأت المس بيل مدى الاحترام الذي يكنه المسلحون له، وظنت انه رئيس الذين هاجموا القطار واسروها، فاحتمت به، فحماها، واوصلها الى بغداد، من دون ان يمسها بأذى فطلبت منه اسمه وعنوانه لتجازيه على موقفه النبيل معها، ففعل.

وفي ذات يوم، كان ابن عبدكه يتجول في بساتين (العبارة) وكان حذرا من اقرباء نجم الزهو العزاوي الذي قتله سابقا، لا سيما انهم كانوا مصممين على الاخذ بثأر الاخير. وفي صباح يوم ١٤ من حزيران ١٩٢٤، استيقظ ابن عبدكه ليرى ثمانية من رجال الشرطة وهم يحيطون به من كل جانب، شاهرين اسلحتهم، فلم يستطع مقاومتهم، فقبضوا عليه، وارسل مخفورا الى بغداد.

وبعد محاكمة ابن عبدكه،صدر الحكم عليه بالاعدام شنقا حتى الموت.

وما ان سمعت (المس بيل) بأمر الحكم على ابن عبدكه حتى توجهت الى بغداد وتوسطت لدى الجهات المسؤولة لتخفيف الحكم عليه بالحبس لمدة عشرين عاما وبالاشغال الشاقة، بدلا من الاعدام شنقا.

وبالفعل، نفذ الحكم بابن عبدكه، قضى في السجن اثني عشر عاما، ثم خرج من السجن عام ١٩٣٦، وبوساطة المس وبيل، عينته الحكومة مراقبا للاثار في بابل.